دور البيئات الجغرافية في تقريب الوحدة النضالية المغاربية

The role of geographical environments in bringing Maghreb struggle unity closer together

د. عايدة حباطي

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية، قسنطينة

habbati.aida@gmail.com
habbati.aida@univ-emir.dz

الملخص

قادت الهجرة الشعوب المغاربية بفعل القمع الاستعماري، وعوامل متداخلة أخرى إلى خارج الديار على اختلاف الوجهات التي اختاروها مخيرين أو مجبرين. وقد وجد هؤلاء في البلاد المستقبلة فرصة أخرى لطرح قضاياهم الوطنية، حيث حملوا معهم مآسي أهلهم تحت نير الاستعمار، فجعلوا منها وسطا حيويا للنضال والنشاط النقابي والثوري، وبيئة جغرافية مناسبة لتوحيد جهودهم وتقريب الرؤى لمواجهة فرنسا العدو المشترك.

انطلاقا مما سبق جاءت مداخلتنا تحت عنوان: **دور البيئات الجغرافية في تقريب الوحدة النضالية المغاربية**. والتي نحاول فيها الوقوف على البلاد التي استقبلت وفودا نضالية من شمال إفريقيا ودورها في توحيد والتحضير لإعلان ثوراتهم التحررية، والتي اخترنا لها نموذجين هما كلا من فرنسا ومصر.

الكلمات المفتاحية: الهجرة- النضال الوحدوي-فرنسا-مصر- شمال إفريقيا

Abstract

Due to colonial oppression and other intervening factors, migration led the Maghreb peoples out of their homes, regardless of the destinations they chose, whether by choice or by force. These people found in the receiving country another opportunity to raise their national issues, as they carried with them the tragedies of their people under the yoke of colonialism, so they made it a vital medium for struggle and union and revolutionary activity, and a suitable geographical environment to unify their efforts and bring closer visions to confront France, the common enemy.

Based on the above, our intervention came under the title: The role of geographical environments in bringing Maghreb struggle unity closer together. In which we try to identify the countries that received struggling delegations from North Africa and their role in unifying and preparing to announce their liberation revolutions, for which we chose two models: France and Egypt.

Keywords: immigration - unionist struggle - France - Egypt - North Africa

تمهيد:

يعتبر توحيد الجهود بين الأقطار الثلاثة من الأولويات التي فرضتها الوضعية الاستعمارية الفرنسية على الشمال الإفريقي، وقد استفادت من المقومات التقاربية التي جمعت المنطقة منذ وقت بعيد إلى عهد الموحدين، بما في ذلك الوحدة الجغرافية، والثقافية، والسكانية، إذ شهدت المنطقة تجانسا طبيعيا. كما عرفوا خلال الفترة المعاصرة نفس الاستعمار[1] الذي ضيق على كل جوانب الحياة هذه المستعمرات، ووظفت فيها فرنسا كل إمكانيتها الفكرية والعسكرية وسخرت علمائها ومفكريها من مختلف التخصصات لإثبات غموض تاريخ المغرب العربي، وفقر إسهامه الحضاري وسلبية شعوبه[2] والتشكيك في مكانة الإسلام ودوره في صهر مكونات المجتمعات المغربية وربطها بالمشرق، وعقم المغاربة سياسيا وعجزهم عن تأسيس دول قائمة عن فلسفات سياسية، والتشكيك في الوحدة التاريخية المغربية.

وقد اشتركت القوى الاستعمارية في دول المغرب في الاستلاب السياسي والاقتصادي؛ بأن ألغت كل حقوق وتجريد سكانها من مقوماتهم اللغوية والدينية، وتقاليدهم. وقد قاوم المغاربة صدمة الاحتلال العسكري بإعلان ثورات وانتفاضات، ومع استفحال النشاط الاستعماري ارتفع معها مد النضال السياسي الذي امتد حتى خارج الديار، بعد أصبحت ديارهم بيئات منفرة.

كانت الهجرة أحد المنافذ التي اختارها المغاربة فرارا من بطش الإدارة الفرنسية، بحثا عن الأمان

---

(1) هيمنت فرنسا على المنطقة الشمالية من إفريقيا منذ العقد الثالث من القرن 19، الجزائر (1830) تونس (1882)، موريتانيا (1903) المغرب (1912)، وامتد بعد الحرب العالمية الثانية نفوذها إلى ليبيا مع بريطانيا إلى غاية 1951. إلى جانب الاستعمار الاسباني والايطالي

(2) محمد مالكي، **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربي، ط2، بيروت، 1994، ص113

والرزق، وسعيا لمزيد من الحرية وخدمة لقضايا أقطارهم وتوحيد الجهود لمواجهة عدو مشترك. تعتبر كلا من فرنسا ومصر من أولى المناطق المستقلة للمغاربة، التي عرفت فيهما تقارب فكري وديني ووطني بين الوفود العمالية ونخبة السياسية. وبناء على ما سبق نحاول من خلال هذه الورقة البحثية نفصل في جزئيات الموضوع النقاط الموضحة أدناه:

- ب
  وادر الجهود الوحدوية المغاربية في المهاجر
- ا
  لمهاجرون المغاربة في فرنسا ونشاطهم الوحدوي
- م
  صر ودورها في تقريب الفكر الوحدوي المغاربي

أولا – بوادر الجهود الوحدوية المغاربية في المهاجر:

لا يمكننا بأي حال من الأحوال ضبط بداية الجهود الوحداوية المغربية بسنة محددة، كما لا يمكننا حصر هذه الجهود ضبطها في كل المهاجر والبلاد التي استقبلت المغاربة بعد أن أضحت بيئاتهم منفرة، فستقبلتهم البلاد العربية والغربية، فمن استانبول التي نمت فكرة الجامعة الإسلامية وحدتهم وتقاربها انطلقوا إلى بلاد أخرى خاصة الأروبية منها ألمانيا وسويسرا بعد تراجع مشروع الجامعة الإسلامية.

فقد استقبلت استانبول عديد الشخصيات المحلية كمحمد فريد بك ، باش حامبه، عبد العزيز جاويش، شكيب أرسلان، المكي بن عزوز، إسماعيل الصفائحي ... وقد أعطى تواجد هذه النخب المغاربية دفعا قويا للنشاط الوحدوي. ومن بوادر العمل المشترك منذ حوالي 1910 أسس الشيخان صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي جمعية الأخوة الجزائرية التونسية في اسطنبول ولها فروع في دمشق والحجاز ولاسيما فرع المدينة المنورة[1] عن طريق الشبان التونسيين وعلى رأسهم الأخوين محمد وعلي باشا حامبة الذين أسسا مع الجزائريين اللجنة التونسية – الجزائرية في سويسرا والتي تصدت للدفاع عن

[1] خير الدين شترة، نشاط الوطنيين الجزائريين في المهجر خلال الفترة 1900-1939، **مجلة مصادر**، ع29، مركز دراسات في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية والثورة أول نوفمبر،1954، 2017، ص16.

شعوب المنطقة وحقوقهم بواسطة " مجلة المغرب " التي كانت تصدرها ،سبتمبر وقدمت هذه اللجنة كذلك عريضة لمؤتمر الصلح في 1918 طالبت فيها بحقوق.

كما كانت للوطنين المغاربة جهود أخرى من ألمانيا(برلين)، هذه الأخيرة التي كانت لها رابطة مع دولة الخلافة والعالم العربي قبل الحرب العالمية الأولى، وقد خصها وليام الثاني بزيارتين الأولى بالتجاه المشرق (1898)، وأخرى إلى المغرب الأقصى (1905) للدعاية المعادية للاستعمار الفرنسي والبريطاني، والمبادرة لتقديم يد المساعدة لإحداث ثورة في شمال إفريقيا.[1]

ومن ألمانيا باشر مجموعة من الوطنين كالصالح شريف، محمد الخضر حسين، وإسماعيل الصنهاجي وعبد العزيز جاويش نشاطهم من برلين طيلة الحرب العالمية الأولى، بأن شكلت لجنة استقلال الجزائر والبلاد التونسية (1916) برئاسة صالح شريف والجزائري محمد مزياني التلمساني. إلى جانب هيئة شمال إفريقيا (1917)، واللجنة الإسلامية لاستقلال إفريقيا. كما كان للمغاربة أيضا نشاطات من جنيف السويسرية كان أبرزها انشاء علي باش حامبه وناشطين جزائريين مجلة المغرب الناطقة باللغة الفرنسية (1916) وعرفت نفسها على أنها منبر لمطالب أهالي الجزائر وتونس ومراكش وطرابلس[2].

لكن عموما انحصر نشاط المهاجرون المغاربة في هذه المهاجر بأنها حصرت الوحدة لا يكون إلا في نطاق قومي لا يتجاوز الفكرة الوحدوية في إطار الدولة العثمانية التي غدتها مشروع الجامعة الإسلامية، وهي الفكرة التي تشبع بها العناصر المهاجرة من المغاربة إلى بيئات خارجية غير بلادهم الأصلية، لمواجهة تعدي الاحتلال.

ثانيا/ المهاجرون المغاربة في فرنسا ونشاطهم الوحدوي

تعتبر فرنسا من أكبر الدول الأروبية انفتاحا على العالم الخارجي، فكانت البلد الثالث من حيث التعداد السكاني بعد روسيا وألمانيا (1866-1911)، إلا أن نموها الديموغرافي في النصف

---

[1] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص35.

[2] محمد بلقاسم، **وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا (واقع فكرة الوحدة)**، (1954-1975)،القافلة ، الجزائر، 2013، ص59.

الأول من القرن العشرين تباطأ، بشكل ملفت حتى أصبحت قضية سياسية. وقد توازى ذلك مع انفتاح فرنسا على الهجرة للشعوب إليها واللاجئين السياسيين من أروبا الشرقية (ألمانيا، بولندا، المجر، روسيا واليهود، ومن إيطاليا إسبانيا)، فكانت عاصمتها باريس مقرا لاستقرار المنفيين أيضا العرب، وملتقى الزوار من الفاعلين السياسيين والمصلحين والأدباء، أمثال الأفغاني وعبده وشوقي...أين اجتمعوا وتعلموا وعقدوا مؤتمراتهم (المؤتمر العربي (1913)) وأصدروا صحفهم (عروة الوثقى). والأكيد أن العملية صاحبها تفاعل رواد الفكر والأدب المشرقي بالثقافة الفرنسية [1].

إن الحديث عن النشاط الوحودي في فرنسا، يجرنا حتما للحديث عن المهاجرين المغاربة إلى فرنسا، الذين حملهم إليها ضربات الجوع الفقر وجور الإدارة الاستعمارية ولا مساواة، وقد ساهموا كيد عاملة كثيفة ورخيصة في تطور اقتصاد المحتل في الميتربول، وكان هؤلاء أغلبهم ينتمون إلى فئة اجتماعية من الفلاحين الذين لا يملكون أراضي أو ممن استحوذ المستوطنون على ممتلكاتهم وظلوا بلا عمل، وليس لهم تكوين في الميدان الصناعي.

وبالتالي فإن هذه الفئات كانت أكبر الفئات ترشحا للهجرة. الذين عرفت معدلاتهم زيادة مطردة مع الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلدانهم. اتخذوا من العديد من العملات الفرنسية مقرا لإقامتهم بما في ذلك باريس. حيث كانت أعدادهم تتضاعف تقريبا كل سنتين، خاصة مع نهاية الحرب العالمية فمن 21 ألف مهاجر سنة 1920، و44 ألف سنة 1922، لتبلغ سنة 1924 (71 ألف) [2] ليصل إلى 105 ألف سنة 1929. وبالمقابل كان في فرنسا خلال نفس السنة 10 ألاف مغربي، و10 ألاف تونسي[3]. وبذلك فإن الأغلبية كانت للهجرة الجزائرية التي تعكس الطبيعة القمعية والحياة الاجتماعية والاقتصادية البائسة التي عرفها الجزائريون.

---

[1] أنور الجندي: **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.ص.152-153.

[2] Ch. R. Ageron , La glorieuse étoile de Messali Hadj, in **le monde** (numéro spécial, dossiers et document). Juillet-aout 1987 .

[3] Benjamin Stora, **Messali Hadj 1898–1974**, Ed, Lesycomore 1982, p45.

كما عرفت فرنسا توافد فئات مغاربية أخرى من المجندين في حروبها الخارجية بما في ذلك مشاركتهم في الحرب العالمية الأولى، هذه الأخير التي تم فيها تجنيد عددا من الجزائريين والتونسيين والمغربيين[1]:

المستعمرة	عدد المجندين
الجزائر	172800
تونس	60000
المغرب	37150

وبذلك فإن التجنيد أيضا قد استهدف الجزائريين دون غيرهم من باقي المستعمرات، إلى جانب استخدامهم كعمال في مختلف المصانع والأعمال بما في ذلك الفلاحية منها، وتشير إحصاءات الحكومة العامة أن عدد المجندين الجزائريين كعمال في المصانع الفرنسية في الفترة الممتدة من 02 أوت 1914إلى 30 نوفمبر 1918 بلغ 124298 رجل[2].

إلى جانب ذلك استقبلت فرنسا وفودا من الطلبة المغاربة الذين لم تميز بين المستعمرات القادمين منها في تصنيفهم، وتصفهم عادة بالطلبة المسلمين وغير المسلمين الذين أصبحوا بعد 1945 قوة طلابية، بعد أن أدركوا أن التعليم أصبح وسيلة للمطالبة بالحقوق والمساواة. وعلى خلاف الطلبة المغاربة بمن فيهم الجزائريين الذين زاروا فرنسا أواخر القرن 19 ومطلع القرن 20 (الذين كان منهم شريف بن حبيلس، بن علي فخار، الطيب مرسلي)كانوا من الأثرياء أومن الموالين للإدارة الاستعمارية. وخلاف ذلك كان الطلبة في الأربعينات إلى غاية الثورة التحررية أبناء الشعب وليس أبناء عائلات معينة ، وهو ما أكده فرحات عياس، الذي أكد أنهم من أبناء الفقراء العائلات الريفية والميسورة الحال.

---

[1] عبد القادر بلجة: **مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1907–1945)**، أطروحة دكتوراه،جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2016، ص 56.

[2] عبد القادر بلجة: المرجع السابق، ص60.

وقد عرف معدلاتهم ترتفع مع مطلع القرن العشرين فمن بين الإحصاءات المسجلة في أعداد الطلبة مثلا التونسيون[1]:

السنوات	1900-1901	1920-1921	1924-1925	1929-1930	1934-1935	1938-1939
عدد الطلبة	11	50	80	129	232	202

وقد اقترنت هجرة الطلبة إلى فرنسا بأسباب ودوافع ظاهرة وأخرى خفية؛ فإلى جانب متابعة الدراسة بجامعاتها، كانت فرنسا بالنسبة إليهم نقطة تحول في تحقيق مشروع حراك اجتماعي، لم يجد في الجامعات المحلية مناخا مناسبا لاجتياز عتبة التمييز العرقي والثقافي والاجتماعي في تقييم عملهم وتخصصاتهم. [2]

وقد أثارت هذه الزيادة مخاوف المستوطنون الذين أعلنوا معارضتهم عن فتحت باب الهجرة أمام المغاربة خاصة في الجزائر، لأنها ستفتح أعينهم على معطيات جديدة تجعلهم في موضع تهديد لمصالحهم. ومخافة إحداث فراغ في مزارعهم وورشاتهم في الجزائر[3]. هذه الأعداد التي ستتضاعف مع تقادم الاستعمار في الأقطار الثلاث سيكون لهم دورا في النشاط الوطني في فرنسا التي تعزز بظهور الجمعيات والأحزاب والمنظمات السياسية والنقابية الذي حمل معه وعي وطني إقليمي لا قطري .

وقد ساعدت هؤلاء على استقرار بفرنسا مجموعة من المحفزات وشجعتهم على التردد عليها والعمل بعقود سنوية في الغالب؛ منها ارتفاع الأجور بالمقارنة مع الجزائر. والمعاملة الحسنة التي كانوا يعاملون بها في فرنسا. جعلهم يميزون بين وضعهم المزري بعد مخالطتهم للأوساط سياسية والاجتماعية. هذا الوسط الذي سيكون بمثابة المدرسة السياسية لمناضلين. كما وجدوا فيها الفوارق الجوهرية بين الفرنسيين في وطنهم الأم وفرنسا؛ كالحرية التي خلقت أجواء من الارتياح النفسي، شجعهم على الانخراط في التنظيمات العمالية التابعة لليسار الفرنسي. وقد هيأ المحيط السياسي لهم التجمع، وإسماع

---

[1] محمد البدوي، **المغرب العربي بين التكامل والتوظيف 1911-1962**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، 2014-2015، ص115.

[2] محمد ياحي، **النضال الوطني للمهاجرين الجزائريين بفرنسا، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (1830-1962)**، منشورات وزارة المجاهدين، 2007 ،ص 175.

[3] حسين العبد اللاوي، هجرة الطلبة الجزائريين إلى فرنسا (1900-1960)، **أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية** مرجع سابق ، ص 130 وما بعدها.

صوتهم في المحافل الوطنية والدولية[1]. فقد كانت فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى تجيش بحركة عمالية ثورية، على اثر انتصار الثورة البلشفية في روسيا القيصرية، وبعد إعلان مبادئ ولسن التحررية التي أثمر صداها على مستوى الشعوب خاصة المستعمرة منها، وتبخرت على مستوى الحكومات إلى جانب وصول التيار اليساري في فرنسا بزعامة هيرو سنة 1924[2].

وقد واكب هذا الحضور من المهاجرين المغاربة في فرنسا، تواجد شخصيات رمزية لدى الحركات الوطنية المحلية من كل الأقطار والتي أعطت دفعا للنشاط الوحدوي المغاربي بأن قربت وجهات النظر؛ كالأمير خالد ومصالي الحاج وشاذلي خير الله، علي باش حامبه... حيث عقدت في باريس العديد اللقاءات بين قادة الحركة الوطنية كفرحات عباس وعلال الفاسي ومصالي الحاج. وقد عاش أغلب هؤلاء بعيدا عن بيئاتهم الأصلية مبعدين عن بلدانهم، بل أن أغلبهم توفوا بعيدا عن ديارهم[3]

أما الأمير خالد الذي تزعم برنامجا مبنيا على مبدأ التعاون والمشاركة في تسيير الجزائر، سماه (v.Barrucand التيار المشارك (collaboration)، سماه محفوظ قداش بالتيار الخالدي (khalidisme)، أما سعد الله فنعته بالتيار الإصلاحي؛ وعد نشاطه امتدادا لنشاط ابن الموهوب وابن سماية[4]، كما سماه آخرون حزب الأمير خالد[5] فقد شاركه المغاربة نفس الطموح السياسي والمطلبية التي أرادت أن تستفيد من تبعات مناهضة الاستعمار وخروج العالم من حرب كونية كانت من مخرجاتها المطالبة بحق تقرير المصير، وهو ما طالب به الأمير في العريضة التي سلمها للرئيس ولسن (1919) [6] التي ناقشت مسألة المشاركة في حكم بلادهم تحت إشراف عصبة الأمم[7]، وبدوره أرسل عبد العزيز الثعالبي بمعية زميله أحمد السقا بمذكرة تضمنت حق التونسيين في تقرير مصيرهم،

---

[1]Ben youcefe Ben khadda, **Les origins du 1er Novembre 1954**, Ed. Dahleb, Alger, 1989,p.46.

[2]محمد قنانش، **الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919–1939**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص.31.

[3]عاش مصالي الحاج مبعدا قضى ردحا من حياته بين السجون الفرنسية والإقامة الجبرية وتوفي (1974) في فرنسا، علي باش حمبه (1918) في اسطنبول، وأخيه محمد في سويسرا (1920)، اسماعيل الصفايحي في الآستانة (1918).

[4]أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج.2، ص. 257.

[5] Ch.R. Ageron **Les algériens musulmans et la France (1871-1919)**, T2.,1reédition,P.U.F, 1986, p.916-917.

[6] للمزيد ينظر: عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة**، تر.سامي الجندي، دار القدس، بيروت، 1975.

[7]الأمير خالد، **رسالة إلى الرئيس الأمريكي ونصوص أخرى**، تر.المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2006، ص.40.

أمام التجاهل الذي صاحب النظر في المذكرة لجأ إلى إصدار كراسته المعروفة باسم تونس الشهيدة. وهو ما يعكس تقارب في فكرة المطالبة بالحقوق.

كان تواجد الأمير خالد في فرنسا عاملا هاما في توجيه النخب المغاربية نحو التوحيد كإلقائه لمجموعة من المحاضرات (بين 12-19 جويلية 1924) أمام جموع من المغاربة، ودعاهم فيها إلى الانخراط في النقابات والأحزاب التي تدافع عن حقوقهم. وكان تزايد وتيرة نشاطه سببا مباشرا في منع السلطات الاستعمارية دخوله الجزائر مرة أخرى.

كما كانت باريس مسرحا للقاءات التي كانت تتم بين مختلف النخبة المغاربية التي أثيرت معها نقاشات جادة التي جمعت في فرنسا بين باش حامبه المختار بن الحاج والحكيم بن تهامي، إلا أنهم وجدوا صعوبة في التفاعل الطرفين مع فكرة الجامعة الإسلامية بنفس الدرجة[1]، بنما أبدى باش حمبة اعجاباه بمحمد برحال الذي وصفه بقوله: " أتى إلى هنا مقلدا سبحته وبيده العصا، يخيل لنا موسى مارا بأرض فرعون .. [2]."

كانت فكرة الجامعة الإسلامية حسب بعض المغاربة بما فيهم باش حامبة تعمل على مواجهة فرنسا لكن سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية (1924) جعل الحركات المغاربية تحاول الاعتماد على إمكانيات الذاتية في المنطقة وسعي إلى تنسيق وتنظيم جهود فيما بينها. كما أن المغاربة نقلوا نشاطهم من الآستانة إلى العاصمة الفرنسية باريس نفسها[3].

وقد أفرز التقارب المغاربي عن نشاطات وعمل نقابي وجمعيات عمالية وطلابية وحودوية نشطت الحياة السياسية من أرض العدو فاطلع المغاربة الذين كانوا يعشون في بلدانهم قهرا اجتماعيا على معنة الدفاع عن حقوقهم المادية والمعنوية عن طريق العمل النقابي ويصف عبد القادر جغلول الوضع: "**إنها مستعمرة ذات طابع استيطاني، مما جعل الجزء الأكبر من الطبقة العمالية من الأوروبيين،الذين يؤلفون في غالبيتهم أرستقراطية عمالية .وإذا كان التضامن العمالي قادرًا على توحيد الطبقة**

[1]Pierre Bardin : « Algériens et Tunisiens dans l'empire Otman de 1848à 1914 », Ed du CNRS, Aix en Province, Paris 1979, p 121

[2]Pierre Bardin : op.cit, p 123

[3] محمد عابد الجابري و آخرون"**وحدة المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت 1987 ص. 18 .

العمالية في النضالات المطلبية فإن ذلك الأمر قد لا يحدث عندما تطرح المسألة بالمفهوم السياسي والوطني "[1].

بالإضافة إلى تأسيس نجم شمال إفريقيا ببعده المغاربي من أبرز نشاطات العمال المهاجرين إلى فرنسا. الذي سبق ميلاده النجم انعقاد أول مؤتمر للعمال المهاجرين من شمال إفريقيا، العاملين بالضاحية الباريسية بتاريخ 7 ديسمبر 1924 و الذي حضره 150 مندوبا، حيث تم فيه تعيين مكتبا مغاربيا مشكلا من 15 مندوبا و المصادقة على برنامج مطالب الذي هو من الناحية السياسية مستمدا من عريضة المطالب التي تقدم بها الأمير خالد لمؤتمر الصلح بباريس سنة . 1919 و قد وجه المؤتمر رسالة تضامن للشعب المغربي و إلى الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ومما جاء فيها: **"إن مندوبي العمال المهاجرين من شمال إفريقيا بالضاحية الباريسية والمجتمعين في أول مؤتمر في هذا اليوم التاريخي 7 ديسمبر 1924 يهنئون إخوانهم في المغرب الأقصى و قائدهم الفذ بن عبد الكريم الخطابي على انتصارهم على الإمبريالية الإسبانية ويعلنون تضامنهم بكل نشاطاتهم من أجل تحرير أرضهم و يهتفون معهم يحيا استقلال الشعوب المستعمرة و)تسقط الإمبريالية العالمية و تسقط الإمبريالية الفرنسية"**

ويعتبر إنشاء النجم في فرنسا بصبغته المغاربية في فرنسا من أهم مظاهر الوحدوية، والذي نشأ في محيط شيوعي، فكان بعضا من مناضليه ينتمون إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، كالحاج علي عبد القادر[2] وهو المحرك الأول للنجم عضوا في إدارة هذا الحزب —الشيوعي الفرنسي–، ورئيس لإحدى خلاياه، وقد رشحه الحزب لانتخابات 11 ماي 1924 عن منطقة باريس. وكان من أوائل المجندين الشيوعيين أثناء الحرب على الريف المغربي، إلى جانب شبيلة الجيلالي ومعروف جيلالي وهم من مؤسسي النجم[3].

---

[1]Abed el Kader. Djeghlloul**, *Huit études sur l'Algérie***, Entreprise N1e du Livre, Alger, 1986.p.94.

[2]عبد القادر حاج علي (1883–1957) تاجر منحدر من غيلزان، كان عضوا باللجنة الإدارية للحزب الشيوعي الفرنسي (1924–1925)، ورئيسا للخلية الشيوعية بفرنسا. ساهم في بعث النجم. محمد قنانش، محفوظ قداش، **نجم شمال إفريقيا 1926–1937**، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ص.70

[3]زوزو عبد الحميد، **الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914–1939**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص. 16–17.

وقد طمح الحزب الشيوعي تسريب أفكاره للعمال الذين كان عددهم يساوي قرابة 100 ألف[1] أغلبهم من الجزائريين من خلال إيجاد تنظيم وطني لهم بخلفية إيديولوجية معينة. وبدورهم كان العمال والمناضلين المنظمين للنجم يبحثون عن حليف يحتمون به في مراحلهم الأولى، ووجدوا في الحزب الشيوعي الفرنسي، خاصة بعد موقفه من حرب الريف. وحليفا يمكن الاستعانة به في مناهضة الاستعمار[2]. والاحتماء من بطش الإدارة الاستعمارية بإجهاض عملهم في البداية.

وتعتبر القاعدة العمالية المهاجرة قد خلفت قاعدة وطنية بنت عليها الحركات التحررية المغاربية نشاطها التحرري، بما في ذلك جبهة التحرير الوطنية بتأسيسها لفدرالية جبهة التحرير بفرنسا.

كما كان احتكاك النخب الشبانية في المستعمرات بباقي النخب، من الذين واصلوا تعليمهم، فاحتكوا بزملائهم من الفرنسيين في مقاعد الجامعة، وشكلوا صداقات قوية فيما بينهم، وتجاوبوا مع أفكارهم التحررية، أين عرف العالم بعد الحرب العالمية الثانية انتشار واسع للمد التحرري. بالرغم من قلتهم التي لم تتجاوز العشرات، فقد حاولوا الانضواء تحت هيئة قانونية تدافع عن حقوقهم، حيث انضموا في البداية إلى التنظيمات الطلابية الفرنسية، إلا أنهم فيما بعد اختاروا الاستقلال عن المنظمات الفرنسية، والتجمع في تنظيم طلابي مغاربي عرف باسم جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا(AEMNA) والذي أسس بباريس عام 1927 عاقدا أول مؤتمر تأسيسي له في عام 1930 بباريس شاركت فيه عدة شخصيات طلابية « **la mutualité** » بقاعة التعاونية وسياسية من أمثال" **صالح بن يوسف**" من تونس" **علال الفاسي** "من المغرب و"**فرحات عباس**"من الجزائر، و كان الهدف من إنشاء هذا التنظيم الطلابي،هو تحسين حالة الطلبة الجزائريين والدفاع عن حقوقهم وتطوير أواصر التضامن والأخوة بينهم من جهة، والطلبة الجزائريين وإخوانهم المغاربة من جهة أخرى إلى جانب تقديم خدمات للطلبة وتسهل إقامتهم في وسط أجنبي وغريب عنهم،مثل إنشاء

[1] المرجع نفسه، ص.63.

[2] زوزو عبد الحميد، المرجع السابق، ص. 63.

النوادي والمكتبات والمطاعم التعاونية وتخصيص قروض ميسرة ومنح للطلبة.المحتاجين وغيرها من النشاطات الأخرى[1]

وقد تجاوز بعض الطلبة النشاط الطلابي والجمعوي بفرنسا وحاولوا استغلال ظروف الحرب التي تعيشها فرنسا للإعداد والتحضير للثورة بالتعاون مع الألمان، إذ اجتمع 14 طالبا في منزل **شوقي مصطفاي** الواقع قرب جامعة ميلوز،و ذلك في 18 جوان 1940 ،ولما عرض **شوقي مصطفاي** الفكرة على **الأمين دباغين** أجابه الأخير بأن هناك جماعة من حزب الشعب تبنت نفس الأفكار ونصحه بالتخلي عن الفكرة التي رفضها الحزب بشكل قاطع، ورغم عدم توفر ظروف تطبيقها إلا أنها تنم عن الفكر الوطني الثوري.

ڤ –

انيا/ مصر ودورها في تقريب الفكر الوحدوي المغاربي:

عرف الجزائريون والمغاربة مصر منذ القدم، واعتبروها كعبة العلم والحضارة وهذا لأنهم كانوا يعرفونها أكثر مما كانوا يعرفون العراق وسوريا، لوقوع مصر في طريق الحج واحتضانها لجامع الأزهر ذائع الصيت، والذي كان ملاذا الطلبة والعلماء المغاربة لطلب العلم و الاستزادة منه، أو يتوقفون بها للدراسة والتدريس في طريقهم لتأذية المناسك

كان الاحتلال الفرنسي للمنطقة خاصة الجزائر من الأسباب المباشرة في الهجرة وسياسته الهدامة وضربه لمقدسات الأمة وتهجير العلماء ، فكانت مصر ملجأ وقبلة للعلماء، حيثٌ هجر إليهًا الكثير، أمثال المفتي بن العنابي الذي نفاه القائد العسكري كلوزيلٌ إلى مدينة الإسكندرية، حيث أصبح مفتيا على المذهب الحنفي ولحق به ومفتي الجزائر مصطفى الكبابطي الذي نفاه المارشال بيجو سنة 1843 م، لمعارضته إدخال اللغة الفرنسية في المدارس القرآنية

اختلف المهاجرون إلى مصر من حيث الكم والنوع ، فإلى جانب الطلبة، كان القاصدين لها

[1] غي لرفيلي: النخبة الجزائرية الفرنكفونية (1880-1962) تر. مسعود حاج مسعود وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص.82.

من كبار التجار والملاك وأصحاب الأموال والمداخيل المادية، وهو ما جعلهم يتمتعون بنفوذ قوي[1]. وهذا ما يميز بين الهجرتين الشامية والمصرية. حيث سجلت القنصلية الفرنسية (1744) مهاجر سنة (1870)،ا لذين تم تسجليهم، على اعتبارهم مهاجرين شرعيين[2].

فاستقبل الأزهر الشريف باعتباره من أهم الجامعات جذبا لطلبة المغاربة بما في ذلك الجزائريين، فكان لهم رواقا خاصا (رواق المغاربة) تصله الإعانات والتبرعات من التجار والملاك المغاربة المقيمين في مصر، وهو ما لم تتمتع به أروقة أخرى في الجامع[3]. ومن الطلبة الذين زاروها البشير الإبراهيمي إلى الذي رحل إلى المشرق متخفيا(1912)، عندما التحق بوالده المهاجر(1908)، فرارا من التجنيد الإجباري.

وكانت هجرة العربي التبسي، الزيتوني الأزهري بدوره لطلب العلم.انتقل إلى الأزهر (1919)، قبل أن يتم مشواره التعليمي الذي بدأه في الزيتونة للحصول على شهادة التطويع. فعلى متن باخرة تجارية فرنسية قديمة متجهة إلى مصر، غادر العربي التبسي متخفيا في إحدى مقصوراتها، وهو لا يملك قرشا واحدا.إلتحق برواق المغاربة أبدي تفوقا واضحا على أقرانه من الطلبة الغرباء المسلمين. وسمحت له هذه الرحلة بالاحتكاك بألمع الشيوخ[4]والأساتذة، انتهت بنيله الشهادة العالمية الخاصة بالغرباء 1925، ثم العالمية الكبرى 1927[5]. ليعود بعدها إلى وطنه الأم متشبعا بالعديد من أفكار عصره.

عاش المصريون أجواء سياسية، اختلفت عن باقي الولايات العربية، في أواخر الثلاثينات ما

---

[1]عمار هلال، "الطلبة الجزائريون في الأزهر في الأزهر عام 1916"، **مجلة الثقافة**، ع.79، وزارة الثقافة، الجزائر، 1984، ص.123.

[2]المرجع نفسه، ص.123.

[3]عمار هلال المرجع السابق، ص.119-120.

[4]ومن هؤلاء يوسف الدجوي، والشيخ عبد الوهاب النجار، ومصطفى المراغي، ومحمد شاكر،وعبد الرحمن قراعة، وحسنين مخلوف، وحسين والي، وسيد المرصفي. للمزيد ينظر: أحمد العيساوي، العلامة الشهيد الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي، العالم الشهيد، **عدد خاص (العربي التبسي)**، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، جويلية 2012، ، ص.30.

[5]المقال نفسه، ص.31.

جعل أهلها يتمتعون ببعض الحريات، لكنها حرية محدودة، لم تتجاوز سلطتين رئيسيتين الانجليز والخديوية[1]. في حين كانت الولايات العثمانية في بلاد الشام تئن تحت اضطهاد الباشاوات، بتطبيقهم للسياسة المركزية، وهو ما دفع بأعداد هائلة من الشوام إلى الهجرة صوب مصر[2]، بحثا عن فضاء للحرية والنشر، وطلبا للعلم في مدارسها وجامعتها ومعاهدها[3].

وقد وجد المغاربة في المجلات الصادرة في مصر منبرا للدفاع عن حقوق المغارب كمجلة الفتح خلال الثلاثينيات القرن الماضي التي ساندت بشكل علني قضايا التحرر في بلاد المغرب، وناهضت الاستعمار بكل أشكاله[4]. وكشفت حقيقة الوضع في الجزائر، في سلسلة مقالات: "مائة سنة على استعمار الجزائر"، "النصرانية في الجزائر" "الجزائريون يحال بينهم وبين العالم"، "فلسطين ثابتة في الجزائر"، "الإسلام والمسلمون في شمال إفريقيا".

من النشاطات المبكرة مشاركة الجزائريين في مصر في العقد الأول من القرن العشرين (1910) تنظيم يسمى الاتحاد المغاربي وصاحب الفكرة فيها الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد اتخذت من الإسكندرية مقرا لها برئاسة محمد شرعي باشا، الذي ربما يكون من المهاجرين، وقد لقي الاتحاد دعما من الخيديوي عباس حلمي، وكان من نشاطات هذا الإتحاد ارسال موفدين إلى المغرب العربي وخاصة المنطقة الوهرانية بالجزائر للاتصال بصف الضباط الجزائريين كانوا يؤيدون الجامعة الإسلامية[5]

---

[1]وهو ما بينه جرجى زيدان في قوله: «*لم يكن يصبر على من ينتقده (الخديوي إسماعيل)، فكان الكُتاب يراعون جانبه، ومن تجاسر على انتقاده أصبح في خطر القتل كما أصاب مدير الأهرام لما أشار إلى مال صُرف من الخزينة ولم يُعلم مصيره*» الفيكونت فليب دي طرازي: **تاريخ الصحافة العربية**، ج.3، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913، ص.5.

[2]N.S-L.B :«catalogues d'orientalisme»,**R.M,** n .3, Janvier 1907, p.454.

[3]حنا الفاخوري: **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، مج.4 (أدب النهضة الحديثة)، دار الجيل، بيروت، ط.2، 1991، ص.15. ومسعود ضاهر: «الحياة الفكرية في مدينة بيروت قبيل الحرب العالمية الأولى (1908-1914)»،**المجلة التاريخية المغربية**، ع.57- 58، جويلية1990، ص.28.

[4]فضحت سياسة فرنسا الاستعمارية في لمغرب العربي؛ بتناولها لمسألة الظهير البربري، وانعقاد المؤتمر الأفخارسيتي في تونس وتداعياته.ينظر: أنور الجندي: **تاريخ الصحافة الإسلامية**، ج.2، (الفتح، محب الدين الخطيب)، دار الأنصار، مصر، ص.207- 214.

الإسلامية[1] وعلى حد قول خوالدية صالح فإن الجمعية المذكورة كانت جمعية إغاثة وإعانة للتونسيين والجزائريين والمغاربة عموما المستقرين في تونس[2].

كما عرفت القاهرة نشاطا من أبناء المغرب، أمثال الخضر حسين (1874-1958)، المكي بن عزوز (1859-1915) وصالح الشريف (1862-1920)،وأيضا التونسيون محمد بيرم، إسماعيل الصفايحي (1853-1918) علي باش حامبه والعمل على بلورة السياسة الإسلامية نحو شمال إفريقيا، وكان هؤلاء يبذلون جهودا من أجل الوطن الجزائري التونسي وليس في إطار قطرية الضيقة[3]

كما أسس محمد الخضر حسين جمعية الشبان المسلمين في مارس 1927 في القاهرة، حيث وضع الشيخ محمد الخضر حسين لائحتها مع أحمد تيمور باشا ومحب الدين الخطيب وكان لها دورا بارزا في تاريخ الاصلاح والتحرر في العالم الاسلامي، وفتحت الجمعية دارها للهيئات والمنظمات المغاربية لإقامة نشاطاتها وتنظيم حفلات أو ندوات[4]

وقد عرف العالم بعد الحرب العالمية الثانية توجه الشعوب المستعمرة إلى العمل التحرري وتبلور الفكر الثوري. وكانت القاهرة حينها أحد أهم العواصم العربية التي جمعت شتات المغاربة، التي كانت مهيئة حينها سياسيا وفكريا لاستقبال وفودا من الوطنيين المغاربة وسمحت لهم بالنشاط الوحدوي من هناك وهي الطامحة إلى الزعامة العربية. كقيام هيئة الجامعة العربية على ترابها؛ واستقرار مجموعة من النخب الجزائرية والتونسية والمغربية فيها؛ فمن الجزائر عايش المرحلة تواجد أعداد من الجزائريين من مختلف أطياف الحركة الوطنية، كالحركة الإصلاحية التي عرفت تواجد بعض عناصرها في المشرق عموما والقاهرة بصفة خاصة بما في ذلك الفضيل الورتلاني والشيخ البشير الإبراهيمي، إلى

---

[1] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص16.

[3] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص17.

[4] مولود عويمر :**العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق العربي والإسلامي في القرن العشرين**، دار الهدى، د .ط، الجزائر، 1999، ص 37-38.

جانب ذلك عناصر من حزب الشعب الجزائري الذي مثله الشاذلي المكي وعلي الحمامي أحمد مزغنة، وبعد أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية أصبح يمثلها إلى جانب المكي ومزغنة (عن مصالي الحاج) كل من محمد يزيد وحسين لحول عن المركزيين، وعن نشطاء المنظمة الخاصة حسين آيت أحمد، محمد خيضر وأحمد بن بلة. أين نشطت حركتهم السياسية، إلى جانب عبد الكريم الخطابي، الحبيب بورقيبة علال الفاسي عبد الخالق الطريس، عبد الكريم غلاب، الحبيب الكبداني مع وجود جمعية الشبان المسلمين، والجامعة العربية ومكتب المغرب العربي .

ومن الجهود الائتلافية في القاهرة تأسيس جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية18 فيفري 1944برئاسة محمد الخضر حسين والشيخ الفضيل الورتلاني ككاتب لها، التي حددت مساعيها إلى حرية واستقلال شعوب شمال إفريقيا (تونس، الجزائر، مراكش)، وتحقيق التضامن عن طريق النشاط الصحفي وتكوين الأندية[1]. وقد شهدت سنة 1947 جهودا مكثفة انتهت بتنظيم مؤتمر بين 15 إلى 22 فيفري، الذي خلاله تنسيق الجهود بين الوطنيين من الأقطار الثلاث، ومن مخرجاته توحيد مكاتب هذه الأخيرة في مكتب واحد سمي بمكتب المغرب العربي، يعتبر النواة الأولى لنشاط الوطنيين على الصعيد السياسي والإعلامي وحتى التحرري العسكري.

لكن مصر خلال الخمسينات لم تتمكن من احتواء كل العناصر المغاربية، فكانت بيئة منفرة لبعض العناصر، التي كان لها ميول مع جماعة الإخوان المسلمين التي أصبحت من التنظيمات المغضوب عليها في مصر[2]. مما اضطرها إلى مغادرتها إلى وجهات أخرى كالفضيل الورتلاني، وأحمد مزغنة، شادلي مكي.

إلى جانب ذلك فقد شهدت هذه البيئات منافسات غير معلنة حول رئاسة الفروع ومكاتبها المختلفة. إلا أنها وجدت في هذه البلدان فضاء كثر حرية من بلدانهم الأصلية، بعيدا عن الموجهة الفرنسية، مستغلين في ذلك القوانين الدولية وتشريعات التحررية.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

---

[1] امحمد بن عبود، **مكتب المغرب العربي في القاهرة، دراسات ووثائق**، منشورات عكاظ، الرباط، 1992 ،ص42.

[2] خالد بوهند، رحلة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى الشرق العربي الإسلامي، (1952-1962)، **مجلة كان** ، دورية إلكترونية، ع24، سبتمبر 2008، ص101

-محمد مالكي، **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربي، ط2، بيروت، 1994.

-خير الدين شترة، نشاط الوطنيين الجزائريين في المهجر خلال الفترة 1900-1939، **مجلة مصادر**، ع29، مركز دراسات في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية والثورة أول نوفمبر،1954، 2017.

-محمد بلقاسم، **وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا (واقع فكرة الوحدة)**، (1954-1975)،القافلة ، الجزائر، 2013.

- أنور الجندي: **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.

-أنور الجندي: **تاريخ الصحافة الإسلامية**، ج.2، (الفتح، محب الدين الخطيب)، دار الأنصار، مصر.

-عبد القادر بلجة: **مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1907-1945)**، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2016.

-محمد البدوي، **المغرب العربي بين التكامل والتوظيف 1911-1962**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، 2014-2015.

- محمد ياحي، **النضال الوطني للمهاجرين الجزائريين بفرنسا، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (1830-1962)**، منشورات وزارة المجاهدين، 2007 .

(1) حسين العبد اللاوي، هجرة الطلبة الجزائريين إلى فرنسا (1900-1960)، **أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية** ، منشورات وزارة المجاهدين، 2007 ..

محمد قنانش، **الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

-أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت

- عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة**، تر.سامي الجندي، دار القدس، بيروت، 1975.

-الأمير خالد، **رسالة إلى الرئيس الأمريكي ونصوص أخرى**، تر.المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2006.

- محمد عابد الجابري و آخرون"**وحدة المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت 1987.

- محمد قنانش، محفوظ قداش، **نجم شمال إفريقيا 1926-1937**، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر.

-زوزو عبد الحميد، **الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914-1939**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

- غي لرفيلي: النخبة الجزائرية الفرنكفونية (1880-1962) تر. مسعود حاج مسعود وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

-عمار هلال: "الطلبة الجزائريون في الأزهر في الأزهر عام 1916"، **مجلة الثقافة**، ع.79، وزارة الثقافة، الجزائر، 1984.

-الفيكونت فليب دي طرازي: **تاريخ الصحافة العربية**، ج.3، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913.

-حنا الفاخوري: **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، مج.4 (أدب النهضة الحديثة)، دار الجيل، بيروت، ط.2، 1991

- مسعود ضاهر: «الحياة الفكرية في مدينة بيروت قبيل الحرب العالمية الأولى (1908-1914)»،**المجلة التاريخية المغربية**، ع.57- 58، جويلية1990.

-مولود عويمر :**العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق العربي والإسلامي في القرن العشرين**، دار الهدى، د . ط، الجزائر، 1999 .

-امحمد بن عبود،**مكتب المغرب العربي في القاهرة، دراسات ووثائق**، منشورات عكاظ، الرباط، 1992.

-خالد بوهند، رحلة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى الشرق العربي الإسلامي، (1952-1962)، **مجلة كان** ، دورية إلكترونية، ع24، سبتمبر 2008.

-Ch. R. Ageron , La glorieuse étoile de Messali Hadj, in **le monde** (numéro spécial, dossiers et document). Juillet-aout 1987 .

-Benjamin Stora, **Messali Hadj 1898-1974**, Ed, Lesycomore 1982 .

-N.S-L.B :«catalogues d'orientalisme»,**Ruvue du .Monde musulman**, n .3, Janvier 1907.

-Abed el Kader. Djeghlloul, ***Huit études sur l'Algérie***, Entreprise N1e du Livre, Alger, 1986.

-Pierre Bardin : « Algériens et Tunisiens dans l'empire Otman de 1848à 1914 », Ed du CNRS, Aix en Province, Paris 1979.

- Ch.R. Ageron, **Les algériens musulmans et la France (1871-1919)**, T2.,1re édition,P.U.F, 1986

-Ben youcefe Ben khadda, **Les origins du 1er Novembre 1954**, Ed. Dahleb, Alger, 1989.